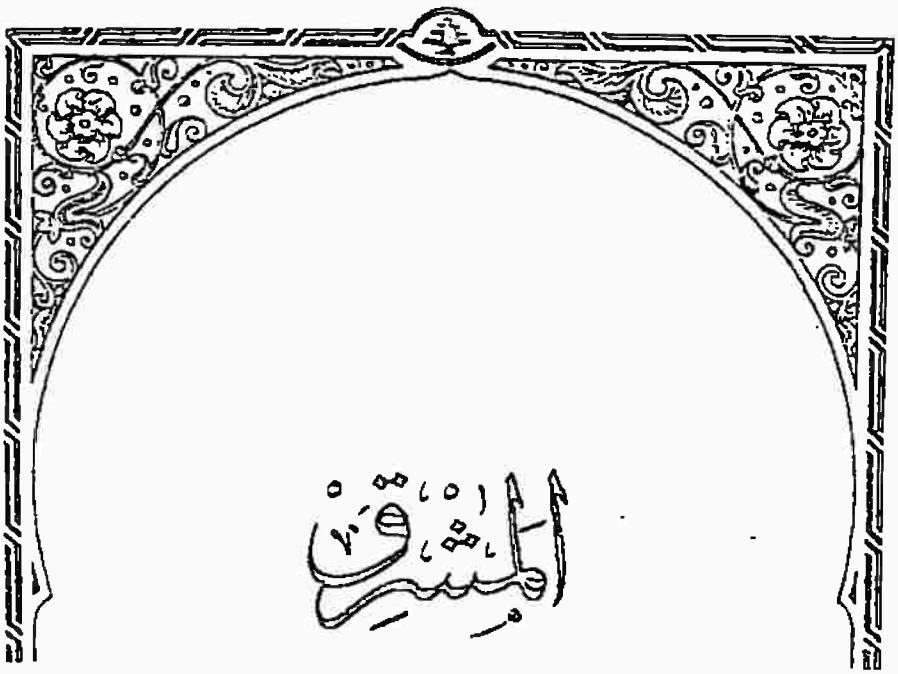

السنة الحادية والستون

ايار – حزيران ١٩٦٧

لغات العالم

بقلم الاب رفائيل نخلة اليسوعي

منذ تبلبلت السن البشر : عند محاولتهم تشييد برج شامخ : تناطح قمته عنان السماء : ما زالت تتنوع . وتتكاثر : على توالي العصور : حتى اصبحت كأنها عالم من اعجب العوالم التي ابتدعها عقل الانسان . فلا بدع : واحالة هذه : بكونها قد لفتت منذ القدم انظار العلماء : فجعلوا يقابلون بعضها ببعض : ليكتشفوا ولو شيئاً يسيراً من اسرار نشأتها وتطورها وتأثيرها المتبادل . وقد اضحى علم اللغات : منذ نحو قرنين : من اسمى العلوم منزلةً واوسعها نطاقاً واشدها تعقداً : يقف مئات الاختصاصيين الضالع معظم اعوام حياتهم على استجلاء غوامضه والتمتع بما تجلى لهم : بعد الجهود الجبّارة : من محاسنه الفتّانة .

انما غايتنا في هذه العجالة ان نلخص لقراء المشرق اهم الحقائق الثابتة : المختصة بلغات العالم . وبما ان هذا الموضوع واسع المجال : كثير الشعب :

رأينا ان نبوّبه تبويباً جامعاً . بقدر الامكان . بين الايجاز والوضوح . لتسهيل فهمه حتى على اقل الناس المامّاً به .

القسم الاول : عدد لغات العالم وانقسامها الجغرافي

تتوهم عامة الناس ان عدد اللغات الحية لا يكاد يتجاوز المئة . اما الحقيقة التي اهتدى اليها اللغويون بعد طول التنقيب . فهي ان اهل جيلنا — وهم اكثر من ثلاثة مليارات — يتكلمون بنحو خمسة آلاف لسان . منها زهاء ثمانمئة وثمانين لغة ذات آداب . والباقي لهجات عامية . عاطلة عن الادب او متحلية منه بحلية زهيدة . غير خليقة بالذكر . نجد اسماء تلك الخمسة آلاف لغة . بالترتيب الابجدي . في ذيل كتاب شهير . الفه بالفرنسية رهط من ائمة اللغويين . في عصرنا هذا . وعنوانه Les langues du monde (لغات العالم) .

كيف ينقسم ذلك العدد الرائع من اللغات الحية على قارات العالم ؟ في القارات او البلاد القديمة التمدن كثرت العوامل المفضية الى تقليل اللغات . ومن اهمها :

١ً زوال القبائل المتوحشة . المستقلة كل واحدة منها بلسانها ونظامها الاجتماعي واخلاقها وسائر مميزاتها .

٢ً نشأة شعوب كبيرة . متحضرة . يعيش ملايين افرادها في التآلف والتعاون . تحت كنف حكومة واحدة . مركزية .

٣ً تكثير طُرُق المواصلات وزيادة سرعتها . مما ادّى الى انماء الاختلاط بين عناصر كل امة . فازال عنها شيئاً فشيئاً عدة فروق وفواصل . ومن جملتها اللغوية .

٤ً اضطرار كل من حكومات تلك الشعوب الراقية الى اختيار لغة واحدة رسمية . اوجبت على جميع رعاياها ان يحسنوا تعلمها في المدارس .

٥ً انتشار انواع المؤلفات في تلك اللغة الرسمية بين كل طبقات الامة . وقد نتج عن ذلك حتماً تقهقر عدة لهجات عامية او انقراضها الكامل .

بعد ذلك التعليل المفصّل يسهُل علينا ادراك سر انقسام اللغات الادبية وغيرها بين قارات العالم على الوجه الآتي . بغض النظر عن لهجات تلك اللغات . لكونها فروعاً قد تفرعت منها . في اوربة القديمة التمدن . التي

زالت عنها القبائل المتوحشة . نجد نحو مئة وعشرين لغة . بيد ان المانية وايطالية . اللتين لم يتم فيهما التوحد السياسي الا من نحو قرن . وكانتا قبلئذ منقسمتين الى عدة دويلات ذات استقلال جزئي او كلي . فلا تزال حية فيهما لهجات عديدة . قليلة الآداب . مع ان اهالي كل ولاية لا يتحادثون بسواها الا في علاقتهم مع سكان الولايات الاخرى او مع الاجانب .

اما بقية القارات . الحديثة التمدن . التي ظل اهاليها مدة عصور منقسمين الى مئات قبائل متوحشة ، محرومة لسهولة المواصلات . مع بُعد المسافات التي تفصلها . نجد فيها حتى الآن مئات لهجات ينطق بها كثير من تلك القبائل . ولو انضوت الى بلاد متمدنة . فلا بدع بان نجد في اميركة ٤٢٢ لغة . وفي الهند وحدها زهاء ثلاثمئة . وفي اوقيانية نحو ١١٧ .

القسم الثاني : طوائف اللغات

السن العالم تنقسم الى ثلاث طوائف : لكلٍّ منها ميزات واضحة .

الطائفة الاولى هي اللغات الوحيدة المقاطع في جميع كلماتها غير المركبة : من جملتها لغات سيام : كمبودج : بيرمانية وتيبات : لكن اشهرها واشدها انتشاراً هي الصينية . هذه اللغات لا تصريف فيها للافعال والاسماء : ولا اشتقاق بزيادة سوابق (préfixes) او لواحق (suffixes) او خاتمات (terminaisons) . بما ان عدد المقاطع المختلفة محدود ، نجد في تلك الالسن سلاسل كثيرة من كلمات لفظها واحد : ويحتوي بعضها ستين كلمة ، اعني مقطعاً واحداً ذا ستين معنى : لكلٍّ منها رسم مختص به : وسوف ترى ذلك في كلامنا على كتابة اللغات . قد لجأت الصينية لتسهيل تمييز بعض تلك المعاني في الكلام ، الى اربع لهجات : المنخفضة : الوسطى : العالية : المتعالية من اولها الى آخرها . نضرب مثلاً على ذلك : الكلمة « ما » الملفوظة باللهجة الاولى معناها كتّان ، بالثانية معناها « أم » : بالثالثة معناها « حصان » : بالرابعة معناها « موظّف عال » .

الطائفة الثانية هي اللغات الالصاقية ، وهي اكثر الالسن عدداً ؛ من اشهرها اليابانية ، المجرية ، الفنلندية والتركية . مميزتها ان جذور الكلمات لا تكاد تتغير في التصريف والاشتقاق . حاكم مثلاً من التركية : güzel جميل ، güzellik جمال ، güzellenmek تجمّل .

الطائفة الثالثة هي اللغات التصريفية ؛ مميزتها ان جذور الكلمات تتغير في التصريف والاشتقاق . دونكم مثلاً من الفرنسية : je viens آتي . nous venons نأتي . je vins اتيت .

اللغات التصريفية تنقسم الى ثلاث فصائل .

الاولى هي الفصيلة الهندية الاوربية . المنطوق بلغاتها في آسية الغربية واكثر بلاد اوربة . وهي مشتقة من لغة سماها العلماء الهندية الاوربية نُطق بها قبل التاريخ . ولم يبق منها ادنى اثر مخطوط .

لهذه الفصيلة عدة فروع . نذكر بعد كل منها امثالاً عليها .

١ً الفرع الآري (aryen) : السنسكريتية . البراكريتية .

٢ً الفرع الايراني : الفارسية . الكردية .

٣ً الفرع الايطاليارى (italique) : اللاتينية والالسن المشتقة منها كالفرنسية ؛ الايطالية ؛ الاسبانية . البرتغالية . الرومانية (لغة رومانية) .

٤ً الفرع الكلتي (celtique) : البريتونية (breton) . الارلندية القديمة .

٥ً الفرع الجرماني المنقسم الى ثلاث شُعب :

الشعبة الشرقية : الغوطية ؛

الشعبة الشمالية : الدانمركية ؛ الاسوجية ؛ النروجية ؛ الاسلندية ؛

الشعبة الغربية : الانكليزية ؛ الهولندية ؛ الالمانية .

٦ً الفرع الصقلبي : الروسية . الروتانية ؛ البولونيسة ؛ البوهيمية ؛ السلوفاكية . الصربية ؛ السلوفانية ؛ البلغارية .

٧ً الفرع البلطي الصقلبي : الليتوانية ؛ التنونية .

ما عدا تلك الفروع تحتوي الفصيلة الهندية الاوربية بعض لغات قليلة التشابه ؛ اهمها اليونانية ؛ الالبانية ؛ الارمنية .

الفصيلة الثانية هي السامية ؛ المشتقة من لغة سماها العلماء السامية القديمة ؛ نُطق بها قبل التاريخ ؛ ولم يبق لها ادنى اثر مخطوط .

من اكبر ميزات تلك الفصيلة ؛ كثرة الحروف الحلقية وصيغ الاسماء والافعال ؛ والقلة المفرطة في السوابق واللواحق والكلمات المركبة من جذرين متلاصقين مثل « برمائي » المركبة من برّ وماء . الفصيلة السامية تنقسم الى فرعين .

١ً الفرع الشمالي : الاشورية البابلية ؛ العبرانية ؛ الفينيقية . الآرامية مع شعبتيها السريانية والكلدانية .

٢ً الفرع الجنوبي : العربية ؛ الحالطية التي نحو نصف قاموسها مقتبس من الايطالية ؛ الحميرية المنطوق بها في جنوب شبه جزيرة العرب ؛ الحبشية .

القسمة الثالثة هي الحاميّة ؛ ومن اشهر لغاتها المصرية القديمة . القبطية ؛ القبائلية .

القسم الثالث : العناصر الجوهرية في اكثر اللغات

الاصوات المختصة بكل لغة

نرى في هذا الشأن تنوعاً شديداً في الالسن . من امثال ذلك ان في العربية وبعض اللغات السامية الاخرى . الهمزة . الحاء ؛ الخاء ؛ العين ؛ الغين ؛ الصاد . الضاد ؛ الطاء . الظاء . القاف . بينما اكثر لغات اوربة خالية من معظمها .

مع ذلك نجد الخاء في اللغات الصقلية وفي الاسبانية ؛ الالمانية ؛ اليونانية ؛ الارمنية ؛ الفارسية . نجد في الانكليزية الصاد في loss (خسارة) ؛ الضاد والظاء في gods (آلهة) ؛ الطاء في hot (سخن) ؛ وان لم يكن لها حروف مختصة بها . كذلك نجد لفظ الهمزة والقاف في الدانيمركية . من جهة اخرى لا شين في اليونانية ؛ ولا واء في الصينية .

النبرة

النبرة هي تشديد الصوت في لفظ مقطع من جميع اهم الكلمات ؛ ولا سيما الاسماء والافعال . في بعض اللغات كالمجرية تقع دائماً على المقطع الاول ؛ في غيرها كالفرنسية ؛ على المقطع الاخير . في عدد كبير من الالسن ؛ كالانكليزية والروسية ؛ لا قاعدة البتة لمحل وقوعها ؛ مما يصعّب الى الدرجة القصوى صحة التكلم .

انواع الكلمات العشرة

كل هذه الانواع موجودة في اكثر اللغات ، وقد ميّز النحاة كلاً منها باسم خاص ؛ لان الاختلاف الجوهري بين معانيها ووظائفها واضح

كل الوضوح . بيد ان سيبويه . إمام النحاة العرب . الذي لا نزال تابعين طريقته بخذافيرها . مع انه قد توفي سنة ٧٧٠ . من نحو اثني عشر قرناً. لم يميز كثيراً من تلك الانواع . ومن ثم لم يضع لكل منها اسماً خاصاً. فتحتم عليك الاقتداء على وضعه في هذه المقالة .

النوع الاول : اداة التعريف والتنكير (article)

لا توجد هذه الاداتان في بعض اللغات كاللاتينية والروسية . في غيرها كالفرنسية . تسبقان الاسم . وفي الارمنية تلحقان الموصوف في عدة احوال . في العربية والانكليزية تسبق اداة التعريف . بدون تغير ينوط بالجنس والعدد . اداة التنكير في لساننا — وهي التنوين — تتبع المفرد وجمع التكسير من الاسماء المنصرفة . بدون تغير ايضاً . في الالمانية اداة التعريف تتصرف وفاقاً في المفرد ثلاثة اشكال للمذكر والمؤنث والحيادي (neutre) .

النوع الثاني : الموصوف (substantif)

١ً جنس الموصوف — عدة لغات . كالانكليزية والتركية والارمنية : لا تميز المذكر والمؤنث الا في الناس والحيوانات . بيد ان اكثر لغات اوربة وعدداً كبيراً من سواها قد جعلت لكل نبات او جماد جنساً اصطلاحياً منها : بل نجد في الالمانية والروسية وغيرهما جنساً ثالثاً يُدعى حيادياً . في الدانمركية والاسوجية جنس مشترك للمذكر والمؤنث وجنس حيادي .

٢ً عدد الموصوف — في بعض اللغات كالمدغشكرية : لا صيغة تحول المفرد الى جمع . بيد اننا نجد المفرد والمثنى والجمع في العربية والليتوانية. للجمع علامات مختلفة في اكثر لغات اوربة . وهي قائمة بتغير آخر المفرد . اما جمع التكسير — وهو من اشد صعوبات العربية — فاننا نجده في عدد غير زهيد من الكلمات البريتونية من امثال abostol (رسول) ؛ التي جمعها ebestel .

٣ً تصريف الموصوف — نجده لا في العربية فقط ؛ حيث له ثلاثة احوال ، الرفع والنصب والجر ؛ بل في اكثر لغات اوربة ؛ ولا سيما الرومية ؛ حيث له ستة احوال . .

النوع الثالث : النعت (adjectif qualificatif)

١ً جنس النعت — لا جنس للنعت في عدة لغات كالانكليزية والتركية والارمنية . وله جنسان او ثلاثة في اكثر لغات اوربة وعدد كبير من سواها التي جعلت لكل ذات او جماد جنساً اصطلاحياً ؛ في تلك لا لبس يتفق النعت والموصوف في الجنس .

٢ً عدد النعت — لا علامة جمع للنعت في عدة لغات . وهو يتفق مع الموصوف في التثنية والجمع في كثير من الالسن الاخرى .

٣ً محل النعت بالنسبة الى الموصوف المنعوت — النعت سابق في عدة لغات كالانكليزية والالمانية . لاحق في الفارسية ؛ سابق او لاحق وفقاً لمساغ . اي بدون قاعدة مطردة . في الفرنسية .

النوع الرابع : الضمير (pronom)

الضمير . كما حدده اللغويون : هو كلمة تنوب مناب الموصوف . وقد ميزوا من ثم عدة اجناس من الضمائر . نجدها في شتات الالسن .

١ً الضمير الشخصي : النائب عن شخص المتكلم او المخاطب والغائب . اصحاب لغة الفلاد لم يميزوا غيره في انقيادهم المفرط لسيبويه . في عدة لغات كالتركية والارمنية والفارسية . لا فرق بين المذكر والمؤنث في ذلك الضمير على وجه الاطلاق ؛ وفي اكثر اللغات الاوربية لا يوجد ذلك الفرق الا في ضمير الغائب .

٢ً الضمير الاشاري (démonstratif) ينوب عن الموصوف بواسطة الاشارة اليه . هو ايضاً موجود في العربية : كما في قولنا : « افضّل هذا على ذلك . »

٣ً الضمير الامتلاكي (possessif) ينقص العربية ؛ وهو من حُلى اكثر لغات اوربة وغيرها ؛ حاكم مثلاً من الفرنسية : ma maison et la tienne (بيتي وبيتك) .

٤ً الضمير الموصول (relatif) : الذي نسميه اسماً موصولاً ؛ ينوب مناب الموصوف بواسطة الصلة التي تحدد معناه ؛ كما ترى في هذا المثل : الكتاب الذي طبعتُه .

٥ً الضمير الاستفهامي موجود عندنا ايضاً : كما يتضح من هذه الجملة : من زارك ؟

٦ً الضمير المبهم (indéfini) ينوب عن الموصوف ، حتى في غير الاستفهام ، بدون ادنى تعيين له . تجده في هذه الجملة العربية : ما زارني غيرك .

النوع الخامس : الفعل

قد ميّز نحاة مئات اللغات ، في الفعل ، ما لم يميزه على وجه مطرد سيبويه في الفعل العربي . نعني الكيفية (le mode) والزمن . الكيفية تضيف الى معنى الفعل صبغة مختصة بها . هاكم الكيفيات الموجودة في اكثر الالسن . وقد تحتم علينا ان نضع لها اسماء غير مألوفة في لغتنا . حيث توجد جميعها .

١ً الكيفية الاخبارية (indicatif) تخبرنا بمجرد حدوث فعل في الماضي او الحاضر او المستقبل . العربية تعبّر عنها في الغالب بالفعل الماضي وبالمضارع المرفوع (كتبتُ ؛ اكتبُ ، ساكتب) .

٢ً الكيفية الشرطية (conditionnel) تعني في اصلها ان حدوث فعل منوط بتمام شرط . وكثيرًا ما تعبر عنها العربية بالمضارع المجزوم (إن تدرسْ تنجحْ) .

٣ً كيفية الامر . وقد ميزها سيبويه .

٤ً كيفية التبعية (subjonctif) تدل على ان الفعل ليس مستقلاً في تركيب الجملة ، بل تابعاً لفعل آخر او لموصوف او لنعت ؛ في الغالب . تعبر عنها العربية بالمضارع المنصوب (اريد ان تساعدني ؛ رغبتي في ان اهاجر ؛ هو جدير بأن يُكرم) .

النوع السادس : المشترك (participe)

قد ميزه نحاة اشهر اللغات عن سائر انواع الكلمات ؛ لانه هو وحده مشترك في معاني الفعل والموصوف والنعت . يقابله في العربية اسما الفاعل والمفعول . هاكم مثلاً على ثلاثة معاني اسم الفاعل في لغتنا : رأيتك كاتباً مقالتك (وانت تكتبها) ؛ هو كاتب مشهور ؛ الآلة الكاتبة .

النوع السابع : المتقدمة (préposition)

هي كلمة توضع بين كلمتين من نوع واحد او نوعين . مع اختلاف وظيفتيهما في الجملة ، للدلالة على العلاقة بينهما . نراها في الغالب بين الفعل والموصوف (خضع لامري) ، او بين موصوفين (الشفقة على الفقراء) او بين نعت وموصوف (نظيف في ثيابه) . في عدة لغات كالعربية والتركية تقع تلك النقطة على الاكثر بعد الكلمة الثانية ، فتسمى متأخرة (postposition). لم يميز سيبويه المتقدمات في العربية ، مع انها كثيرة عندنا . منها احرف الجر ، ومنها عدة اسماء (قبل ، بعد ، فوق ، تحت ، امام ، وراء ، بين ، نحو الخ) .

النوع الثامن : الواصلة (conjonction)

هي كلمة تصل جملتين (زارني صديق فأطال زيارته) او كلمتين متجانستين بالنوع والوظيفة (خلق الله الروح والمادة ، هو غني وكريم) . يتضح من ذلك التحديد كون الواصلة تختلف كل الاختلاف عن المتقدمة او المتأخرة .

النوع التاسع : الظرفية (adverbe)

هي كلمة مبنية في الغالب ، تضاف الى فعل واحياناً الى نعت ، للدلالة على ظرف متعلق به : الزمان ، المكان ، الكمية ، الكيفية الخ . ليس لذلك النوع اسم خاص في العربية ، مع كثرة وجوده فيها ، كما ترى في هذه الامثلة : امس ، هنا ، جداً ، رويداً . بيد ان لغتنا خالية من لاحقة (suffixe) موجودة في لغات عديدة ، لتحويل النعت الى ظرفية الكيفية ، وهي ment في الفرنسية (aimablement بلطف ، من aimable لطيف) .

النوع العاشر : الخالفة (interjection)

الخالفة كلمة مبنية ، وكأنها في الغالب صيحة تعبر عن ثوران العواطف الشتى ، وقد اخطأنا بتسميتها اسم فعل . دونكم بعض الامثلة عليها : أف ، آه ، اوّاه ، زه .

ترتيب الكلمات في الجملة

هذا الترتيب شديد الاختلاف بين لسان وآخر . لكنه امرن واكثر شيوعاً في اللغات التي تصرّف اسماؤها . كاللاتينية . على كل حال يجب تمييز نوعين جوهريين من ذلك الترتيب .

الاول هو المنطقي المؤسس على موضوع الجملة . فيه تأتي القضية الاصلية (proposition principale) قبل القضية التابعة لها (subordonnée) . وفي كل قضية يأتي الفاعل او المبتدأ . ثم ملحقاته كالنعت والمضاف اليه . ثم الفعل . وتليه توابعه كانواع الظرفيات والمفعولات اليكم مثلاً على ذلك الترتيب : اطلب الى ابا صديقك ضرب اخا الطفل الذي يثير في البستان . نجد هذا التنسيق . مع بعض الفوارق العرضية في اللغات السامية وفي اكثر الهندية الاوربية .

النوع الثاني هو الترتيب المنطقي بالتدرج الصاعد المبني على درجة اهمية القضايا والكلمات . هنا توضع القضية التابعة قبل الاصلية . وفي كل قضية تسبق كلّ كلمة توابعها . ويأتي الفعل في الموضع الاخير . نجد ذلك التنسيق في التركية .

ذانك النوعان من الترتيب هما بمثابة الحدين الاقصى والادنى لكل انواع تنسيق عناصر الجُمل في جميع لغات العالم.

القسم الرابع : كتابة اللغات

كل انواع تلك الكتابة تنقسم الى اثنين جوهريين .

النوع الاول الكتابة الفكرية (idéographique) . وهي التي ليست فيها حروف ابجدية تدل على لفظ الكلمات المركبة منها ؛ بل رسوم اصطلاحية . يدل كل منها على معنى من المعاني ؛ مثل الارقام المستعملة في العربية ؛ وغيرها المستخدم في اشهر لغات العالم . في نشأتها كانت الكتابة الفكرية رسوماً مختصرة لمعانيها الحسية ؛ تعني الاشياء الواقعة تحت الحواس . ورسوماً رمزية للمعاني المجردة ؛ فالعين المفتوحة تدل على العلم . هكذا كانت الكتابة الهيروغليفية عند المصريين القدماء . ثم تطورت شيئاً فشيئاً ؛ وصارت رسوماً عديدة تدل ، لا على معنى كلمة ؛ بل على لفظها .

بيد ان الكتابة الصينية لم يطرأ عليها ذلك التطور منذ عشرات القرون؛

وهي تحتوي نحو اربعين الف رسم ، كل منها تقريباً ذو عنصرين : الاول — واسمه مفتاح — يدل على جنس معنى الرسم . والثاني تكملة لتلك الدلالة المبهمة . من امثال ذلك ان كل رسم يعني شجرة : فيه المفتاح الموجود في كل رسوم الاشجار ، مع التكملة المختصة بتلك الشجرة دون سواها . عدد المفاتيح ٢١٤ .

مع ان اليابانية شديدة الاختلاف عن الصينية . قد اقتبس اصحابها كل رسوم الكتابة الصينية . ومن نتائج ذلك استحالة التفاهم بالكلام بين الياباني والصيني . مع سهولته الكاملة بالكتابة .

النوع الثاني من الكتابة هو اللفظي . المؤسس على حروف ابجدية ، يدل كل منها على صوت معين ، بسيط او مركب .

اول ابجدية مقطعية — نعني ان كل حرف منها يدل على مقطع — قد ظهرت في ليدية . من ولايات آسية الصغرى . فاتخذها الفينيقيون ونشروها : فنشأت منها ابجديات اكثر اللغات السامية . ولا سيما العبرانية والآرامية والعربية .

اما اول ابجدية تدل حروفها على الحركات (voyelles) والسواكن (consonnes) . فقد وضعها اليونانيون . ومنها نشأت ابجديات لغات اوربة . ولا سيما الابجديتين اللاتينية والروسية .

قد تغيرت ابجدية عدة لغات بأمر حكامها . هكذا نبذت رومانية الحروف الروسية في القرن الاخير : واثابت منابها اللاتينية . ومن نحو خمسين عاماً ابتدع مصطفى كمال اتاتُرك ابجدية مقتبسة من اللاتينية . مع عدة اضافات وتحويلات ، وفرضها على جميع اهل تركية لكتابة لغتهم .

فضلاً عن تلك الفروق الجوهرية في انواع كتابة اللغات ، نجد بينها اختلافاً عرضياً في اتجاه الكتابة . كل السن اوربة تُكتب من الشمال الى اليمين ، واكثر اللغات السامية من اليمين الى الشمال : وجميع تلك الالسن تُكتب على اسطر افقية . اما الصينية فانها تُكتب من اليمين الى الشمال ، وكل سطر متجه من اعلى الصفحة الى اسفلها .

على توالي العصور يتغير لفظ آلاف كلمات من كل لغة : خصوصاً باهمال حرف او اكثر من آخرها ؛ اما الكتابة فلا تكاد تتغير لكونها مقيدة في ربوات الكتب ، ومن ثم قد الفتها العيون ، فهي تنفر اشد النفور من ادنى تطور في شكلها . قُبيل سنة ١٩٢٤ قد حسب بعض الخبراء

الرياضيين ان من ١٠٨ مليارات الحروف المطبوعة مدة عام واحد في جرائد فرنسة ومجلاتها : يوجد نحو ١٤ مليار حرف لا يُلفظ قطعاً . فنتجت عن ذلك خسارة ٣٢ مليون فرنك . وفقاً لقيمتها في ذلك الوقت .

القسم الخامس : تطور اللغات

قد اثبت الاختبار ان قاموس كل لغة لا يزال يتطور على وجه بطيء . بفناء عدة كلمات يقل استعمالها . فتصبح مماتة . وبنشأة الفاظ جديدة من وضع الادباء والعلماء . بل من ابتداع عامة الشعب . ذلك التطور تزيد سرعته وعمقه زيادة شديدة في عدة ظروف . نكتفي بذكر اثنين منها .

اذا فتح قوم بلداً واستولى عليه مدة عصور . فلا بد ان تتسرب شيئاً فشيئاً مئات كلمات من لغته في لغة البلد الخاضع لسلطته . نرى ذلك في اللغتين الاسبانية والبرتغالية . فقد اقتبست كل منهما نحو الف كلمة من العربية . بعد استيلاء العرب على قسم كبير من بلدي اصحابهما . كذلك قد حكم الاتراك زهاء اربعة قرون على البلاد البلقانية — وهي بلغارية . صربية القديمة . رومانية . البانية . اليونان — فتسرب نحو الف كلمة تركية . منها مئات عربية الاصل . في قاموس كل لغة من لغات تلك البلاد .

من جهة اخرى اذا هاجر قوم الى بلد بعيد عن وطنه : تطورت لغته في مهجره غير تطورها في موطنه . وذلك بسرعة غريبة . لم يمض اربعة قرون على مهاجرة بضعة آلاف ارلنديين الى البلد الذي صار الولايات المتحدة . ونرى الآن اختلافاً شديداً بين الانكليزية والاميركية : بحيث امكن طبع قاموس اميركي انكليزي يحتوي مئات صحائف .

قد جرى مثل ذلك : على الاخص في القرنين الاخيرين : للعربية الفصحى . بعدما زاد انتشارها في الشرق الادنى وشمال افريقية : من الخليج الفارسي الى المحيط الاطلسي . فلا بدع بكون قاموسها المصري مشحوناً بآلاف كلمات وتراكيب مختصة بادباء مصر ، وقد عُني بجمع اكثرها المستشرق الالماني الشهير هنس ڤار (Hans Wehr) : في قاموسه العربي الالماني ، الذي ظهرت طبعته الثانية : بدون ادنى اختلاف عن الاولى : سنة ١٩٥٦ . بيد ان مؤلفه قد خل خللا فاحشاً بتسميته « قاموس اللغة العربية المكتوبة في ايامنا » .

القسم السادس : وحدة اصل جميع اللغات

الالسنية او علم الالسن حديث النشأة ؛ فقد ظهر في اواخر القرن الثامن عشر . على كل حال . بعدما تقدم بسرعة واثبت بالبراهين الدامغة قرابة جميع اللغات الهندية الاوربية . مع شدة الاختلاف الموجود بينها ؛ لم يخطر ببال اكبر اللغويين ان يحاول البحث العلمي العميق عن وحدة اصل جميع لغات العالم . البالغ عددها خمسة آلاف وبيفاً . ذلك البحث الجبار قد وقف عليه اللغوي الايطالي النابغة تروبتّي (Trombetti) عشرات الاعوام . درس فيها اقدم الكلمات . ولا سيما اسماء بعض المعادن والنباتات والحيوانات . في مئات من الالسن . فتأكد له ان اسماء كل منها يمكن ترتيبها في سلسلة تبدي من اولها الى آخرها شبهاً واضحاً بين حلقاتها المتقاربة . واختلافاً شديداً اذا طال البون بين الحلقات . بعدما اكتشف مئات من تلك السلاسل . قد اهتدى الى الحقائق التالية .

١ً كل اللغات مشتقة من اصل واحد .

٢ً لغات افريقية الجنوبية هي اقدم الالسن ؛ قد نشأت من نحو خمسة عشر الف سنة . ثم ظهرت اللغات الحاميّة والسامية ، من زهاء ثمانية آلاف عام ؛ واخيراً اللغات الهندية الاوربية ؛ من نحو اربعة آلاف سنة .

لو كان عمر اقدم اللغات اكثر جداً من خمسة عشر الف عام ؛ لزال كل الزوال التشابه الموجود بينها . المقارنة بين اللغات الهندية الاوربية ؛ المعروف عمر كل منها بدقة غير زهيدة ؛ تثبت مدى الاختلافات التي طرأت عليها بعد مرور اربعين قرناً .

٣ً المركز الجغرافي لجميع اللغات واقع : على الارجح ، بين جبال قفقاس وانجاد تيبات ؛ وهذه في آسية الوسطى .

القسم السابع : بعض الصفات العرضية في اللغات

١ً فرط كثرة الكلمات الدخيلة في عدة لغات — بعد فتح غليوم دوق نرمندية لانكلترة سنة ١٠٦٦ ؛ صار نحو نصف قاموس الانكليزية منتبساً من الفرنسية : في التركية العصرية نجد آلاف كلمات من الفرنسية ؛ مثل ذلك العدد من العربية ؛ وآلافاً اخرى من الفارسية .

٢ً زخامة اللغات او خشونتها — كل اللغات ، منها خشُن لفظها ، زخيمة في آذان اصحابها ؛ لانهم قد الفوها منذ نعومة اظفارهم . فكلامنا

هذه عن الزحامة والخشونة الموضوعيتين . اللتين يشعر بهما فورًا الاجنبي . الزحامة ناتجة عن عدة عوامل . هاكم بيان اهمها :

الاول كثرة الحركات (voyelles) الرخيمة . من امثال a, e, i. o, ou في الفرنسية . ولا سيما الواقعة في آخر الكلمات . وعدم وجود الغُنّات . التي مخرجها الانف .

الثاني خلو اللغة من السواكن الحنكية . والتواتر المعتدل في ظهور الزاي والسين والشين وامثالها .

الثالث قلة تتابع السواكن التي لا تتوسطها حركة .

من رخم اللغات الايطالية . الاسبانية . القُروطية . الرومية . التركية . اليابانية . من اخشنها الانكليزية . الروسية . السلافية . العبرية . العربية . الارمنية .

القسم الثامن : اللغة الدولية

التقارب المادي بين شعوب العالم قد بلغ في جيلنا درجة عالية جدًا . بتكاثر السكك الحديدية . البواخر . السيارات والطيارات . وقد نتج عنه . بشدة انتشار اجهزة المواصلات اللاسلكية — واهمها المذياع (الراديو) والتلفزيون — انواع التقارب الروحي في جميع الميادين : السياسي . التجاري . العلمي . الادبي . الفني الخ .

بيد ان ذلك التقارب المزدوج لا يبلغ اوج الكمال الا بواسطة لغة دولية اضافية . يتفق على اختيارها اعظم الدُول . ثم يُفرض درسها بضعة اشهر فقط في جميع المدارس الثانوية .

لا يمكن اتخاذ لسان حي بصفة لغة دولية . وذلك لسببين واضحين . الاول هو شدة صعوبة التعمق في درس ذلك اللسان : مع كثرة مواد الدراسة العصرية . الثاني هو ان الدولة التي تُختار لغتها : تكسب نفوذًا شديدًا لا يرضاه لها سائر الدول . فمن ثم لا مندوحة عن ايجاد لغة دولية اصطلاحية . اما المزايا التي يجب ان تزدان بها فهي الآتية .

١ً ان تكون ابجديتها لاتينية : بدون اضافة ادنى علامة فوق الحروف ولا تحتها : وذلك لتسهيل الكتابة والطبع .

٢ً الا يوجد بين حروفها ما يستصعب لفظه امدن شعوب العالم .

٣ً ان تكون كتابة كل كلماتها كاملة المطابقة للفظها .

٤ً ان يكون كل جذر من جذور كلماتها على اشد الشبه بما يقابله في اكثر لغات العالم انتشاراً وهي الانكليزية ، الالمانية ، الفرنسية ، الاسبانية ، الايطالية ، الروسية . قد دُعي ذلك الشرط « الدُولية الكبرى » (le maximum d'internationalité) .

٥ً الا يطرأ على جذورها ادنى تغير في تصريف الافعال وفي الاشتقاق .

٦ً ان تجاري اغنى اللغات بكثرة الكلمات . ولا سيما العلمية . وبكثرة السوابق (préfixes) واللواحق (suffixes) . .

٧ً ان تكون قواعد صرفها ونحوها باعلى درجة من البساطة والسهولة . بدون شواذ البتة . وعلى اتم المطابقة لمبادىء الدولية الكبرى .

٨ً انْ يكون معنى كل تعبير من تعابيرها على غاية الوضوح . مساوياً لمجموع معاني كلماته . بعيداً كل البعد عن آلاف التعابير المختصة بكل لغة حية . التي لها معنى اصطلاحي لا ينضح من معاني كلماتها . ومن جملتها في العربية « رجع بخفَّي حُنين » .

كل المزايا السابق بيانها تزين اللغة الدولية الايدية (Ido) . التي انتشرت في ارقى بلاد العالم . بين فئة من ذوي الثقافة الثانوية . بل الجامعية ؛ وقد ابتدعها سنة ١٩٠٧ المركيز لويس ده بوفرون (de Beaufront) العالم الكاثوليكي الفرنسي . في تشرين الاول من ذلك العام اجتمعت في باريس لجنة مؤلفة من اشهر اللغويين الاوربيين ، لحل مشكلة اللغة الدولية على وجه علمي ونهائي . في اثناء ثماني عشرة جلسة طويلة ، القوا نظر الانتقاد على نحو عشرين لغة اصطلاحية معروضة لفحصهم ، فوقع اختيارهم على الايدية .

منذئذ قد طُبع في هذه اللغة مئتا كتاب وتيّف . سنة ١٩٦٤ طبعنا اول كتاب عربي في قواعد الايدية ، وهو يحتويها مع عدة تمارين عليها ، في ثلاثين صفحة ، لا غير . يباع في المكتبة الشرقية ببيروت (بقرب ساحة النجمة) .

القسم التاسع : بعض الشؤون المختصة باللغات

١ً الفرق بين اللغوي (linguiste) والكثير اللغات (polyglotte) — اللغوي يعرف لغة واحدة او عدة السن معرفة علمية تشمل صرفها ونحوها وقاموسها وما فيه من انواع الكلمات الدخيلة . مع ذلك يمكن ألا يستطيع القراءة والكتابة والتكلم في غير لغة بلاده . اما الكثير الالسن ، فمعرفته لها

ليست علمية بل عملية . بحيث يستطيع ان يقرأ ويفهم لغات عديدة : وفي الغالب ان يكتب ويتكلم ببعضها على الاقل .

اشهر النوابغ من الفريق الثاني هو الكردينال الايطالي يوسف ميتسوفنتي (Mezzofanti) : المتوفى سنة ١٨٤٩ . وهو ابن ٧٧ عاماً . كان قبيل موته يستطيع قراءة نحو ثمانين لغة . والتكلم بزهاء ثمان وخمسين منها .

الكاهن الكاثوليكي الانكليزي وليم كنت William Kent (†١٩٣٥) كان يعرف اربعة وخمسين لساناً . في الحرب العالمية الاولى كان يترجم لحكومة بلاده معلومات ثمينة واردة من مستعمراتها .

الكاهن الكاثوليكي التشكوسلوفاكي كردلكا Koudelka : المولود حول سنة ١٨٦٠ : كان يعرف اربعاً وثلاثين لغة . وقد ترجم في لغته كثيراً من بدائع آداب الالسن التي درسها . بلغ عدد مؤلفاته زهاء خمسين .

٢ً الذاكرة البصرية والذاكرة السمعية في درس اللغات — ان من يدرس لغة بمجرد القراءة : يقوي فيها ذاكرته البصرية . فيفهم معاني آلاف الكلمات فور رؤيتها . بيد انه لم يمرن قطعاً ذاكرته السمعية : فاذا اصغى الى حديث من يتكلم بتلك اللغة . لم يفهم منه سوى الفاظ قليلة : بل لم يدرك اين بدؤها ونهايتها . بعكس ذلك . من يدرس لغة بمجرد السمع : يفهم الناطقين بها : ويظل عاجزاً عن قراءتها .

٣ً الكتاب المترجم دون سواه في اكثر من الف لغة — هو : بلا شك : الانجيل المقدس . البرهان القاطع على ذلك ان شركة التوراة الانكليزية والاجنبية (British and foreign bible society) : التي مركزها في لندن : قد طبعت هي وحدها الانجيل في الف لغة ونيف .

قال شاعر عربي عن الاله القيوم : الخالق : الفائق كماله كل ادراك :

وفي كل شيء له آيةٌ تدل على انه الواحد !

فما عسى ان نقول عما يتجلى لنا من آيات حكمته وقدرته وعنايته : في موهبتي العقل والكلام اللتين جاد بهما على البشر : فمكّنتاهم من ايجاد خمسة آلاف لغة ونيف : كلها من اصل واحد : وهي في مجموعها : وبغض النظر عن بدائع آداب مئات منها : عالم بعيد الحدود : مفعم بانواع العجائب والغرائب : لم يستطع نوابغ اللغويين : طول حياتهم : سوى ارتياد جزء زهيد من ارجائه الفسيحة ؟